في ايران، وحاول مواجهة هذا التهديد بالحرب الشاملة منتهزاً فرصة الارتباك الذي اصاب صفوف الجيش الايراني بفعل الثورة، آملاً في ان يحقق نصراً يستطيع من خلاله تصفية حسابه مع ايران وتوسيع دوره الاقليمي واخضاع ايران ذاتها لمنطقة نفوذه. لكن تطورات الحرب اظهرت ان الحسابات العراقية كانت خاطئة.

انعكاسات الحرب العراقية ـ الايرانية على مسار الصراع العربي ـ الاسرائيلي

ربما كانت اولى النقاط التي يتعين اثارتها ونحن بصدد بحث انماط التفاعل بين الحرب العراقية ـ الايرانية وبين الصراع العربي ـ الاسرائيلي تتعلق بمعرفة ما اذا كانت ديناميات الصراع العربي ـ الاسرائيلي تسببت، بشكل مباشر او غير مباشر، في اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية. وقد يبدو هذا السؤال غريباً، اذ كان من الواضح ان التناقضات العراقية ـ الايرانية، خصوصاً بعد الثورة الاسلامية، كانت بلغت الذروة بحيث لم تكن في حاجة الى مسببات خارجية لكي تنفجر. ومع ذلك، فقد كان من الممكن لهذه التناقضات ان تنفجر في صورة أخرى وتأخذ شكل المساجلات الكلامية، او المصادمات على الحدود، او عمليات التخريب الداخلي المتبادلة، او مزيج من هذه الاشكال كلها وعلى نمط مشابه للنمط الصراعي الذي ميّز العلاقات العراقية ـ الايرانية في الفترة من ١٩٥٨ ـ ١٩٧٥ مع اختلاف في الدرجة وليس في النوع. وكان يمكن للعراق ان يستخدم، للرد على الاستفزازات الايرانية، استراتيجية دفاعية، او حتى يحاول ان يأخذ زمام المبادرة بطريقة او بأخرى، ولكن دون ان يصل بالتصعيد الى حد الحرب الشاملة.

وأياً كان حجم التحدي الذي فرضته ثورة ايران الاسلامية على العراق، الا اننا نعتقد بأن قرار الحرب الشاملة لم يكن حتمياً، بل كان يمكن، عملياً، تجنبه. ويبدو هذا القرار وكأنه ضد طبائع الامور، لأنه لا يمكن لاي حسابات عقلانية ان تقره. فمهما تكن درجة الفوضى التي قيل انها قد لحقت بالجيش الايراني نتيجة للثورة، الا أن اي حسابات عقلانية كان لا بد ان تؤكد انه سوف يستحيل على العراق فرض ارادته على ايران على نحو دائم، بسبب معطيات التوازن البشري، والاقتصادي، بين الدولتين، وهو توازن يميل، في المدى المنظور، الى صالح ايران ويمثل الثقل الرئيس في استراتيجية الصراع، على الرغم من ميل التوازن العسكري، في لحظة استثنائية بطبيعتها، الى صالح العراق، لأن القوة العسكرية في مثل هذا النوع من الصراع وفي اطار هذا التوازن الاستراتيجي قد تفوز في معركة ولكنها لا تستطيع ان تحسم الصراع. وتجمع المصادر كافة، بما فيها المصادر الاميركية، على ان قرار العراق بالحرب الشاملة قد اتخذ بناء على حسابات خاطئة[٦١]، لكنه لا يغنينا كثيراً في هذا المقام الدخول في تفاصيل تلك الحسابات.

ان ما يعنينا، هنا، في المقام الاول، هو ان نحاول البحث في ما اذا كان للسياسة الاسرائيلية والاميركية تجاه الشرق الاوسط، بصفة عامة، وتجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي بصفة خاصة، دور في اشعال حرب شاملة بين العراق وايران، ام ان قرار الحرب الشاملة من جانب العراق قد تم بناء على ادراك واع من جانب القيادة السياسية لمصالح العراق وطموحاتها وحدها دون اي مؤثرات خارجية ؟ وعلى الرغم من اننا نفتقد الى المعلومات الموثقة في هذا الشأن، الا ان شواهد كثيرة تلقي بشكوك كثيفة حول دور أميركي ـ اسرائيلي في قرار الحرب الشاملة. فبعد اكثر من خمس سنوات من اندلاع الحرب العراقية ـ الايرانية تتأكد الشواهد، يوماً بعد يوم، على ان الولايات المتحدة واسرائيل كانا اكثر الاطراف استفادة من اندلاع الحرب واستمرارها، وقد خدمت هذه الحرب المصالح